مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص.90/77

إعجاز القرآن في مفهوم الأقدمين والمعاصرين

The Miracle of the Qur'an in the Concept of Ancients and Contemporaries

د. سعيد تومي
Toumisaid05@gmail.com
جامعة البليدة2
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/09/29 تاريخ القبول: 2022/11/11 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:
تحاول هذه الورقة أن تقف على جهود القدماء من البلاغين والمفسرين واللغويين في اشتغالهم على النص القرآني حيث اجتهدوا في البحث عن أوجه الإعجاز في هذا النص سواء الإعجاز اللغوي أو البياني أو العلمي أو حتى النفس. على أن بحثنا كان انتقائيا بحيث شمل بعضا من هؤلاء من كانت لهم بصماتهم واضحة ومسارهم في الاشتغال على الدرس القرآني طويل، فمن القدماء اخترنا الجاحظ والباقلاني والجرجاني والسيوطي. ومن المحدثيين المعاصرين وقفنا على جهود سيد قطب وكذا مصطفى صادق الرافعي
كلمات مفتاحية: الإعجاز، في، القرآن، االأقدمين، المتأخرين

Abstract:
This paper attempts to stand on the efforts of the ancient rhetoricians, commentators and linguists in their work on the Qur'anic text
Where they strived to search for the miracles in this text, whether linguistic, rhetorical, scientific, or even psychological. However, our research was selective so that it included some of those who had clear fingerprints and their path in working on the Qur'anic lesson is long. Among the modern scholars, we have been guided by the efforts of Sayyid Qutb, as well as Mustafa Sadiq Al-Rafi'i
Keywords *The Miracle, of, the Qur'an, in, the Concept, of, Ancients and*

مقدمة:

نزل القرآن الكريم معجزا متحدّيا العرب على أن يأتوا بمثله وهم أرباب البلاغة والبيان، وكلّ فخرهم كان الكلام البليغ الجميل، فكان تحدّيه لهم من جنس علمهم، وقد وصلوا إلى أرقى تطوّرات نضجهم اللّغوي. "قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (الأسراء88). "أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرَاهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (هود 13). "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"(البقرة 23).

فما كان من هؤلاء إلاّ أن سلّموا بحقيقة القرآن، وأنّه وإن نزل بكلماتهم وحروفهم إلاّ أنّهم رأوا فيه جميعا لغة غير ما يألفون ويعرفون. "وكل ماصنعه القرآن أنّه أخرج من المادة التي ألفوها وعرفوها آيات هي السحر الحلال- وإنّ من البيان لسحرا- فما كان منهم إلاّ أن تحيّرت منهم الألباب، ودهشت نفوسهم لهذا العجب العجاب، وتحقق الإعجاز القاهر من القرآن...والعجز العاجز من الإنس بل ومن الجنّ أجمعين"1. فهذا الوليد بن المغيرة أبلغ بلغائهم يشهد للقرآن بتسامي

لغته عن لغة البشر قائلا: قد عرفنا الشعر كلّه، رجزه وهزجه، مبسوطه ومقبوضه، وما هو بشعر. ولدى سماعه من النبيّ عليه الصلاة والسلام قولّه تعالى: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (النحل90). قال: والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أسفله لمغدق وإنّ أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر. على أنّه أعلن أمام الملأ مكابرة ومعاندة " إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرْ" (المدثر 24، 25).

لقد استقرّ في أذهان الناس- بعد أن بسط الإسلام سيطرته على شبه الجزيرة العربية- أنّ القرآن معجزة الله الخالدة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأنّه وِسَامُ صِدْقٍ جثا على صدر الرّسول الأعظم شاهدا على صدق نبوّته وإنسانية رسالته، وبقي الأمر
على حاله ردحا من الزمن إلى نهاية القرن الثاني الهجري حين بدأت السّليقة العربية تفقد صفاءها وبريقها بفعل تضافر عدة عوامل، لعلّ أبرزها، امتزاج الثقافة العربية بغيرها من الثقافات الأعجمية كالفارسية واليونانية نتيجة اتساع رقعة الدّولة الإسلامية وامتداد أطرافها شرقا وغربا، شمالا وجنوبا وأصبحت البيئة العربية مختلطة بالتيارات الثقافية المتباينة مما كان سببا مباشرا في ظهور فرق كلامية ومذاهب فكرية متعددة اتّجهت بسهامها إلى القرآن الكريم محاولة النّيل منه وردّ ما أسموه (إدّعاء الإعجاز)، فشككوا النّاس في النّص القرآني وحرفوا آياته وطعنوا كلامه بالتناقض والاختلاف واللّحن وفساد النّظم، وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة حين وصف هؤلاء بالملحدين: " اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة، واللّحن وفساد النّظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيفة الغمر، والحدث الغرّ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشوك في الصدور"2.

على أنّ كل مطاعنهم كانت محض افتراء وقد سبقهم إلى ذلك أهل مكة من المشركين وما أفلحوا وقد تحداهم القرآن "ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأويلهم، لسبق إلى الطّعن به من لم يزل رسول الله ﷺ يحتج عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوّته والدّليل على صدقه ويتحدّاه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله، وهم الفصحاء والبلغاء، والخطباء والشعراء، والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد، واللّدد في الخصام مع اللّب والنهى وأصالة الرأي"3.

لقد كانت كل تلك المطاعن والافتراءات سببا كافيا لدى المسلمين للدفاع عن قرآنهم، وطمس كل ما يمكن أن يعلق بأذهان الناس من زيف وكذب، فأصبح من الضروري تضافر الجهود لأجل "تقديم النص القرآني قراءة وشرحا وتفسيرا، والحرص على استجلاء معالم فصاحته وتبيين مقوّمات إعجازه"4. فبرز الحديث عن وجوه إعجاز القرآن، وعن سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل آياته وسوره، فانبرى علماء المسلمين في ذلك العصر يبحثون الأمر ويستجلون وجوهه، فاختلفت
الآراء وتعدّدت المآخذ، فكان اجتماعهم على الأصل واختلافهم على الفرع، فأما الأصل فالقرآن معجزة الرّسول الكبرى وتسليم بعجز قريش والعرب، وأما الفرع فالوجوه التي كان بها الإعجاز القرآني وهو " أمر لم تلتق عنده الآراء ولم يكن محلّ اتفاق بين الباحثين والنّاظرين في وجوه الإعجاز في كلّ زمان ومكان، فهناك أكثر من رأي وأكثر من مذهب في الجهة أو الجهات التي كان بها القرآن معجزا مفحما"5.

على أنّ هذا الاختلاف في تبيين وجوه إعجاز القرآن ليس فيه ما يعاب، بل هو رحمة أثْرت دراسته، وما خفي على عالم باحث ظهر لآخر، إذْ كان لكلّ واحد من هؤلاء نظرة ومأخذ لا يشتط من القرآن إلاّ ما تشتطّ النملة من أركان جبل شامخ. وعليه سنحاول أن نستقصي دراسات وأقوال العلماء في إعجاز القرآن قديما وحديثا مقتصرين على الجهابذة الذين تركوا بصماتهم مشعّة ببيان الأسرار والوجوه التي كان بها القرآن معجزا؛ على أننا نتخيّر من كلّ جماعة رأسها ومن كل عصر بعض رجاله، لنستقرّ على نقاط التقاطع لدى هؤلاء وأولئك في تحديد المعالم الكبرى لوجوه إعجاز القرآن، وآراء هؤلاء الدارسين فيه بإيجاز حسب ما يقتضيه المقام وما يتوافق مع بحثنا.

إعجاز القرآن في دراسات الأقدمين

1- الجاحظ (ت 255هـ): كان دافع الجاحظ للحديث عن إعجاز القرآن، ردّه على أستاذه النظّام إبراهيم بن سيّار(ت 231 هـ)، أحد شيوخ المعتزلة في البصرة الذي ادّعى أنّ إعجاز القرآن كان بصرف الله النّاس أن يأتوا بمثله ولا أن يفكروا في معارضته، فعُرف بمذهب **الصّرفة،** فما كان من الجاحظ إلاّ أن أنكر إنكارا شديدا ما ذهب إليه أستاذه، لأنّه كان يجزم في قرارة نفسه بأنّ نظم القرآن لا طاقة لبشر به، وأنّه بنظام كلماته ومخارجها وطابعها فوق كل كلام البشر وهو القائل:" ولو أنّ رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبيّن له في نظامها ومخرجها عن لفظها وطابعها أنّه عاجز عن مثلها، ولو تحدّى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها"**6.**

ومعلوم أنّ الجاحظ ألّف كتابا سمّاه (**نظم القرآن**) تطرق فيه إلى بلاغة القرآن من خلال نظمه العجيب، وتفرده بنمط معين لا يتوفر لغيره، وهو سرّ إعجازه. إلاّ أنّ هذا الكتاب لم ير له أثر ولم يصل إلينا، وما وصلنا بعض أفكاره في نظم القرآن مفرقة في كتابيه **(البيان والتبيين)** و **(الحيوان)،** على أنّ بعضهم احتجّ بما جاء في هذا الأخير في إشارة إلى قول الجاحظ بالصّرفة وتناقضه واضطرابه، وهذا ما ذكره الرّافعي بقوله: "وأما الجاحظ فإنّ رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أنّ القرآن في الدّرجة العليا من البلاغة الّتي لم يُعْهد مثلها، غير أنّ الرّجل كثير الاضطراب، فإنّ هؤلاء المتكلّمين كأنّما كانوا من عصرهم في منخل، ولذلك لم يسلم هو أيضا من القول بالصّرفة"7

ومهما يكن من أمر فالثّابت أنّ وجه الإعجاز لدى الجاحظ هو **النّظم** الّذي انفرد به القرآن في صياغة أساليبه، صياغة تنتظم بها المعاني انتظام الروح في الجسد، وما يقوّي حجّة ما ذهب إليه الجاحظ هو ضلوعه في علم البلاغة والبيان، فالرّجل من أئمة البلاغة وعَلَمٌ مُفَرّد في أساليب البيان، وذوّاقة لم تعرف له العرب مثيلا لصنوف الآداب والعلوم. وهذا الوجه الذي أقرّه وذهب إليه لم يكن صريحا في قول من أقواله أو في رسالة من رسائله، وإنّما كان مضمّنا في نصوصه المتعدّدة التي وصلت إلينا ،وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الكريم الخطيب بقوله :"وإذا كنّا قد قلنا إنّ رأي الجاحظ في وجه الإعجاز القرآن، هو ذلك النّظم الذي انفرد به القرآن في تصوير معانيه وإخراجها على تلك الصور العجيبة في النظم، فإنّ ذلك الرأي لم يكن رأيا صريحا للجاحظ، وإنّما كان عن طريق الاستدلال، والاستنتاج لمقولاته التي حملناها هذه المحاميل، وفهمناها على هذا الوجه من الفهم وإلاّ فإنّ الجاحظ لم يقل قولا صريحا مواجها في جهة أو الجهات التي جاء منها الإعجاز في القرآن."8

أما قولهم أنّ الجاحظ انتصر للّفظ دون المعنى انطلاقا من مقولته المشهورة:" والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللّفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السّبك، وإنّما الشّعر صياغة و ضرب من التصوير ."9 فالأمر هنا متعلّق بتلك المعركة الّتي كانت دائرة بين أصحاب اللّفظ من جهة، وأصحاب المعنى من جهة ثانية، نصاعة اللّغة وبيانها لا إعجاز القرآن، لهذا نجد إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني يقف إلى جانب الجاحظ بقوله :" ومعلوم أنّ سبيل الكلام – اللّفظ – سبيل التصوير والصياغة، وأنّ
سبيل المعنى الّذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه..كالفضة والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار"10.

تنتقل المعركة، بعد هذا، إلى إعجاز القرآن من جهة النّظم، مستقطبة اهتمام الدارسين إلى اليوم وهو ما أشار إليه مُحَمَّد عابد الجابري:" وقد أصبحت مسألة ما إذا كان القرآن معجزا بنظمه وتأليفه أم بمعانيه فقط، أم بنظمه ومعانيه معا، من القضايا الفكرية التي استقطبت اهتمام المفكّرين البيانيين متكلّمين كانوا أو غير متكلّمين، وبالتالي أصبحت إشكالية اللّفظ والمعنى هو الموضوع الرئيس في المناقشات التي دارت وتدور إلى اليوم حول ظاهرة الإعجاز القرآني"11.

وإذا عدنا إلى الجاحظ وبعيدا عن تلك المعارك الكلامية المشار إليها، فإنّنا نستقر على أنّه إمام مذهب النّظم في إعجاز القرآن وعمدة الرأي فيه،" وهو إذ يرى وجه الإعجاز في النّظم، لا يرى النّظم نظما إلاّ إذا كان على شيء من السّعة والامتداد، بحيث يحمل معنى مؤلّفا من حقائق مترابطة، يسنّد بعضها بعضا، فتتشكّل منها صورة سويّة الخلق، أما النّظم الذي يقوم على جملة أو كلمة، أو كلمتين، فلا يدخل في هذا الباب، ولا يعدّ نظما ينكشف به معدن الكلام ويبين فضله"12.

يفهم من هذا الكلام أنّ النّظم الذي يرمي إليه الجاحظ إنّما يتبلور في صورة جامعة للنّص لا متفرّقا بين جمله، أو كلماته. وكان لرأي الجاحظ هذا الأثر البارز في رسم منهج لعلماء الإعجاز من بعده، كالآمدي وأبي الحسن الجرجاني، وأبي الهلال العسكري، والقيرواني....وغيرهم.

4- الباقلّاني (ت 403 هـ): رأى القاضي أبو بكر الباقلّاني أنّ من سبقوه وعاصروه من الدّارسين لكتاب الله، لم يعطوا مسألة الإعجاز القدر الكافي من البحث والتمحيص والصبر عليها والحفاوة بها، فأهمل منها الكثير ممّا خفي وظهر، كما أنّه وجد الملاحدة في عصره يوازنون بين القرآن والشّعر، ويفضّلون الثّاني عن الأوّل، فرأى أنّه من الواجب – وهو الّذي أتاه الله علمًا وحكمة – أن يدفع تلك الأباطيل وتلك التّرهات، فوقف إلى جانب أصحابه من الأشاعرة – وهو واحد منهم – في إثبات ثلاثة وجوه كان بها القرآن معجزا، ذكرها في كتابه **(إعجاز القرآن)**،" أحدها يتضمّن الإخبار عن الغيوب وذلك ممّا لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليهم ... والوجه الثّاني: أنّه كان معلوما من حال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدّمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسِيَرهم، ثمّ يأتي بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، مهمّات السيّر من خلْق آدم عليه السّلام إلى حين مبعثه ... أمّا الوجه الثالث: أنّه بديع النّظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحدّ الّذي يعلم عجز الخلق عنه"13.

ويعتبر الوجه الأخير هو الّذي قامت عليه دراسة الباقلّاني، محاولة منه الوقوف على أهمّ سرّ من أسرار الإعجاز القرآني، وكانت دراسة علمية مستفيضة، أبان فيها منهج الرّجل عن فكر نيّر، وبصر ثاقب، وعلم غزير؛ دون أن يغفل القول في إبطال مذهب الصرفة كما فعل قبله الإمام الرّماني.

لقد نظر الإمام الباقلّاني في فكرة النّظم في القرآن، واعتبرها الصفة المميّزة لأسلوبه البديع على سائر أساليب البشر، فحصر وجوه نظمه في النقاط التالية:14

1- منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أنّ نظم القرآن على تصرّف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به ويتميّز في تصرّفه عن أساليب الكلام المعتاد .

2- ومنها ما يرجع إلى هذه الفصاحة والغرابة والتصرّف البديع والمعاني اللّطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشبه في البراعة، على هذا الطول وعلى هذا القدر .

3- ومنها أنّه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرّف إليه من الوجوه الّتي يتصرّف فيها، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وانذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة... فلا تفاوت فيها ولا انحطاط عن المنزلة العليا .

4- يضاف إلى السّابق، أنّ نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجنّ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون عنه كقصورنا وقد قال الله عزّ وجلّ:" قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَت الجِنُّ وَالإِنْسُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآن لاَ يَاتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرَا"(الإسراء 88)

5- ومنها الّذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق والاستعارة والتّصريح والتّجوّز والتّحقيق ونحو ذلك من الوجوه الّتي يوجد في كلامهم موجود في القرآن، وكلّ ذلك ممّا يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة.

6- ومن وجوه بديع نظمه أيضا، أنّ المعاني الّتي تضمّنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدّين، والرّدّ على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها البعض في اللّطف والبراعة، ممّا يتعذّر على البشر ويمتنع،وذلك أنّه علم أنّ تخيّر الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة والأسباب الدائرة بين النّاس أسهل وأقرب من تخيّر الألفاظ لمعاني مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة فإذا برع اللّفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللّفظ البارع في المعنى المتداول المتكرّر.

7- ومن وجوه بديع نظمه أيضا، أنّ الكلمة في تضاعيف كلامه كالياقوتة في واسطة العقد أوكالدرّة تُرى في سلك من خرز، وسبيل ذلك ما تفعله تلك الكلمة لمّا تأخذها الأسماع فتتشوّق إليها النّفوس، ويرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تقرن به .

ولقد وافق الباقلّاني الرّماني في أمر وخالفه في آخر، فأمّا الّذي وافقه فيه، إنكاره للسّجع في القرآن، إذ يقول:" وقد علمنا أنّ القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق* ويبقى علينا أن نبيّن أنّه ليس من باب السّجع، ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس من قبيل الشعر"15. وأمّا الّذي خالفه فيه، فرفضه أن تكون البلاغة وقفا على أقسام عشرة، وقد فصّل في هذا الأمر لدى دراسته التطبيقية على عناصر البلاغة وأقسامها

ممّا سبق، ينقدح لنا أنّ وجه الإعجاز الأعظم عند الباقلّاني هو **فكرة النّظم**، الّتي تناولها بسعة إدراك وإحاطة شاملة، وحسبه أنّه عاش في فترة توهّجت فيها علوم البلاغة، وبدأت الدراسات في علوم إعجاز القرآن تأخذ مكانها بين العلوم، وتتأسس كعلم قائم بذاته، وقد ذكر الدكتور عبد الكريم الخطيب أنّ الباقلّاني يعتبر أوّل من ألّف كتابا مستقلا في إعجاز القرآن، في حين أنّ غيره كان حديثهم في هذا الباب منثورا في تضاعيف كلامهم، أو في مقدّمات تفاسيرهم للقرآن. على أنّ البعض اعتبر أنّ كتابه يعتبر الحلقة الوسطى في سلسلة الأبحاث الّتي تسعى لإثبات إعجاز القرآن16. ومهما يكن من أمر، فإنّ الرّجل أضاف لبنة أخرى للّبنات الّتي تسعى للكشف عن وجوه الإعجاز الأسلوبي في القرآن بالخصوص، كما أنّه أسّس لمرحلة أتت من بعده كان صلب اهتمام أصحابها منصبا حول قضية الإعجاز البلاغي، الّتي نضجت على يد العلاّمة الإمام عبد القاهر الجرجاني.

5 - الجرجاني (ت 471) : فتح الإمام عبد القاهر الجرجاني عينيه على الدّراسات القرآنية تحيط به من كلّ جانب، وإسهامات العلماء الّذين سبقوه في الكشف عن أسرار القرآن وإعجازه، وبعد دراسة مستفيضة، اهتدى الرجل إلى أنّ أعظم سرّ اكتنزه القرآن، بديع نظمه وعجيب تأليفه؛ فلمّا أدرك هذا الأمر تمام الإدراك، أقام عليه دراسته، وبتفصيل مفيض حاول تقريب حقيقة الإعجاز من أذهان النّاس، فكانت آراؤه وأقواله حول الإعجاز موزّعة في كتبه البلاغية وأهمّها: (**أسرار البلاغة**) و (**دلائل الإعجاز**)، وقد "تناول فيهما من المسائل والآراء، ما كشف بحقّ عن شخصيته، ومدى الدّور الّذي أسهم في مجال الدّراسات القرآنية، توصّلا إلى حقيقة الإعجاز في القرآن"17.

وإذا كان الكتاب الأوّل ينطوي على إشارات ضمنية إلى الإعجاز البلاغي في القرآن، واعتبره بعض الدّارسين "ممهدا للمباحث البيانية بصفة عامة، ومباحث الإعجاز البلاغي بصفة خاصة"18؛فإنّ كتابه الثّاني (**دلائل الإعجاز**) يعالج فيه قضية الإعجاز بكيفية مستفيضة، كشف من خلالها عن إعجاز نظم القرآن وسياق لفظه ومقاطع آيه، يقول في ذلك:" فقلنا أعجزتهم- يقصد عرب مكة – مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل، ومساق كلّ خبر، وصورة كلّ عظة تنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كلّ حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنّهم تأمّلوه سورة بسورة، وعشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنّ غيرها أصلح ...بل وجدوا اتّساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا، وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم موضع طمع حتّى خرصت الألسن عن أن تدّعي، وخلدت القروم* فلم تملك أن تصول"19.

فجوهر النّظم عند عبد القاهر، أن تصاغ العبارة بطريقة تفصح تماما عمّا في نفس قائلها، وتكشف عمّا يريد أن يوصله إلى مخاطبه، شريطة خضوعها لقواعد وشروط اقتضاها وضع اللّغة، وجرى عليها المتعاملون بها تواضعا وتعارفا، فـ" ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرّف مناهجه الّتي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم الّتي رسمت لك فلا تخلو بشيء منها "20. فتخرج بذلك معاني النّحو من جوانبه الإعرابية الجّافة إلى جوانب أسمى معتمدة على الذّوق الرّفيع والحسّ المرهف. فوجه الإعجاز في القرآن عند عبد القاهر الجرجاني نظمه، وهذا النّظم لا يظهر في الكلمة إلاّ بحسب موقعها في الجملة، كما أنّ الجملة لا يحسن نظمها إلاّ إذا انتظمت مع أختها لتؤلّف معنى أو صورة أدبية شاملة تطمئنّ لها النّفس .

وعليه فلا اللّفظ وحده ولا المعنى وحده مجال التفاضل في الكلام، بل النّظم، واعتداد الجرجاني به واعتباره موطن الإعجاز في القرآن، كان تكملة لجهود من سبقه في هذا الباب، من الّذين عظّموا شأن النّظم ورفعوا مكانته كما يبق وأن مرّ بنا؛ وفي هذا يقول:" وقد علمت أطباق العلماء على تعظيم شأن النّظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، إجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ "21.

وممّا هو جدير بالإشارة،إليه، أنّ الإمام الجرجاني نفى أن تكون الصوّر البيانية الواردة في القرآن مناط الإعجاز، والاّ لا إعجاز في سورة أو آية لا تحمل صورا " لأنّ ذلك يؤدّي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع من السّور مخصوصة، وإذا امتنع ذلك لم يبق إلاّ أن يكون – أي الإعجاز – في النّظم والتّأليف "22.

بناء على ما سبق يمكننا تلخيص مواطن إعجاز النّظم عند الإمام الجرجاني في النّقاط التالية :

1- لا يمكن لأيّ كان الوقوف على أسرار نظم القرآن وجمالياته، إلاّ عن طريق الاستقراء الأدبي، ولا يكون ذلك إلاّ بالإلمام بفنون القول المختلفة والإحاطة بها .

2- مناط الاهتمام لإدراك الإعجاز يجب أن ينتقل من اللّفظ إلى المعنى، فلا فضيلة للّفظة إلاّ لمعنى اللّفظة الّتي تليها، والنّظم لا يكون إلاّ بترتيب هذه المعاني في النّفس .

3- لا يظهر النّظم إلاّ بحسن تآلف الكلمات مع بعضها البعض، ومن ثمّ الجمل في حسن انتظامها، لتتألّف من مجموع هذه الجمل صورة أدبية شاملة . فلا يقوم للألفاظ ولا للجمل نظم حتّى يعلق ويبنى بعضها على بعض .

4- الفصاحة في اللّفظ صفة له من جهة معناه لا من جهة نفسه، فلا يكون الفرق بين كلام وكلام باستبدال لفظ بآخر، وإنّما بمدى مناسبة الألفاظ للمعاني، كما أنّ الجرجاني يرفض القول بأنّ الوصف بالإعجاز هو في غريب المفردات.

5-إنّ تفاوت الفصاحة مزيّة ترتدّ إلى المتكلّم باللّغة لا إلى واضع اللّغة، ومن ثمّ فمناط المفاضلة بين الفصحاء مردود إلى أفضلية اختيار عن اختيار ... لا اختيار لفظة دون لفظة، وإنّما اختيار تأليف ونظم دون تأليف ونظم سواه23.

6-يشترط الجرجاني لوصف الكلام بالبلاغة أن يجتمع فيه عنصران :

أ- حسن الدّلالة وتمامها فيما كانت له الدّلالة، وذلك أن يؤتى المعنى من الجهة الّتي هي أصحّ لتأديته.

ب- تبرّج الدّلالة في صورة بهيّة، وذلك بأن يختار للمعنى اللّفظ الّذي هو أخصّ به وأكشف عنه وأتمّ له24.

7-لا يفهم نظم القرآن إلاّ بالرّجوع إلى علم النّحو والشّعر العربي من أجل الكشف عن إعجازه.

8- يقرّ الجرجاني أنّ الإعجاز لا يكون في الكلم المفردة، ولا في الحركات والسكنات، كما لا يكون في المقاطع والفواصل ، ولا في حروف الكلم ما يثقل على اللّسان .

وبعد؛ فإنّ الّذي يمكننا قوله أنّ الإمام الجرجاني قد وضع معالم كبرى وأصولا عامّة لفنّ النظم، ممّدت السّبيل لكلّ ناقد ودارس، وفتحت الباب واسعا لكلّ متعقّب لوجوه الصّناعة ولطائفها، وحسبه في كلّ ذلك أنّه وجّه الأنظار والألباب إلى فكرة النّظم بكلّ دقائقها وفصولها في القرآن، وفي غير القرآن من كلام البشر، وأيّ هدف أسمى وأشرف من الوقوف على هذه الفكرة في القرآن. ولعلّ من العلماء الّذين أسهموا في البحث في هذه الفكرة والاستفادة من إسهامات من سبقوه إليه نجد الإمام الزّمخشري .

6- الزّمخشري (ت 538هـ): طبّق الإمام محمود بن عمر جار الله الزمخشري نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني تطبيقا علميا على جميع آي وسور الكتاب الحكيم، وألّف لأجل ذلك أحد أعظم كتب التفسير سماه: **(تفسير الكّشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)**؛ أراد من خلاله أن يقيم أدلّة الإعجاز وشواهده من القرآن الكريم سورة بسورة، فكان منهجه في تفسير القرآن مغايرا تماما لمنهج من سبقه من علماء التفسير، فهو لم يقم بشرح مفردات القرآن ولا إعرابها، كما أنّه لم يقم بالبحث في أسباب النّزول وارتباط السّور بعضها ببعض، ولا استخلاص الأحكام الشرعية ولا معرفة الناسخ والمنسوخ. فأما الذي قام به أنّه "استعرض القرآن الكريم كلّه من أوّله إلى آخره سورة بسورة، كما يفعل المفسّرون، ولكنّه ما كان يقف عند كل آية، وإنّما كانت عينه دائما - كما كان قلبه- متطلّعة إلى ما عسى أن ينكشف له من إعجاز النّظم القرآني، وأسراره في المفردات والتراكيب على السّواء"25.

ولم يكن حديث الزّمخشري عن الإعجاز بعينه فلم يفرد له فصولا وأبوابا في كشّافه، إنّما كلّ الذي فعله أنّه فسّر القرآن تفسيرا يعرض لروائع النّظم القرآني وما يحمله من أسرار تدل على سموّ كلام الله عن كلام البشر، وهو أمر لا يكتشفه ولا يقف عليه إلاّ لبيب اجتمعت لديه دراية عميقة بفنون القول وصنوفه، وامتلك ناصية الذّوق والحسّ الفنيين بصير بمواقع الحسن والجمال في الأدب وهذا ما يشير إليه الزّمخشري في مقدمة كتابه عندما يشترط الإلمام بعلمي البيان

والمعاني، والإطّلاع على أساليب النّظم والنّثر لإدراك طرائق الأسلوب في القرآن، والوقوف على أسرار بيانه بقوله: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق (يقصد حقائق التفسير وأسرار القرآن) إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما، وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبّع مظانّهما همّة في معرفة لطائف حجّة الله وحرص على استضاح معجزة رسول الله... متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر...قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلّف وكيف ينظم ويرصف"26.

لقد تجلى رأي الزمخشري في الإعجاز من خلال تفسيره لكتاب الله. فكان يعرض لآيات القرآن فيقف عندها واضعا إبهامه على مكمن الرّوعة، وإعجاز النّظم فيها، فمنطلقه إذن فكرة النّظم التي كانت مدار القول عند من سبقه من علماء الإعجاز خاصة الإمام الجرجاني، وقد أدرك" أنّ أسرار النّظم القرآني والنّكت البلاغية التي يشملها لا يشملها إلاّ علم النّظم وإلاّ بقيت محتجبة في أكمامها"27.

ولنضرب مثالا من كشافه وقوفا عند طريقة تفسيره وإبرازه لمواطن الإعجاز، يقول لدى تفسيره لقوله تعالى خطابا لموسى (عليه السلام): "إِذَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ" (طه 38 /39) :"فالضمائر كلّها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التّابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النّظم...فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى السّاحل ... قلت: ما ضرّك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرّق الضمائر فينا، فرّ عليك النّظم الذي هو أمّ إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدّي، ومراعاته أهمّ ما يجب عليه المفسّر"28.

وبالإضافة إلى وجه النّظم الذي كان بالنّسبة للزّمخشري أمّ إعجاز القرآن، فقد وقف عند وجه آخر أشار إليه علماء الإعجاز قبله، وهو الإخبار بالغيب، فما من آية من آيات كتاب الله فيها إشارة إلى الغيب والإخبار عنه إلاّ ووقف عندها الزمخشري مليّا مؤكّدا إعجاز هذا القرآن ومن ذلك قوله في: "الّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِين" (الحجر 91). قال:"جعل الله المتوقّع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز لأنّه إخبار بما سيكون وقد كان"29.

كما لا يخفى علينا أنّ الزّمخشري وقف عند جمالية الأسلوب القرآني عامة، وطرائق ذلك، من خلال إبراز إبداعها وسرّ إعجازها ومن ذلك؛ أسلوب الالتفات وأسلوب الفصل والوصل وكذا التكرار والتّمثيل والتّخييل. وكان في كل مرة يضرب لنا أروع الأمثلة من كتاب الله في براعة تلك الأساليب ممّا يؤكّد ويؤيّد فكرة جزالة نظمه وبراعة تركيبه وحسن متانته، إضافة إلى حسن معانيه وصدقها.

وبعد، فإنّ الإمام جار الله الزّمخشري وإن خالف غيره طريقة في البحث عن مكمن الإعجاز في القرآن، فإنّه ولا ريب بكشّافه قد خطا خطوة عملاقة في دفع عجلة البحث والدّراسة لكتاب الله كشفا عن مواطن الإعجاز، لهذا أُعتبر منهجه في التّفسير أعدّل المناهج وأقومها، لمن يريد أن يشهد مشاهد الإعجاز في القرآن.

7- السّيوطي (ت 911): يعتبر جلال الدّين السّيوطي بحقّ خلاصة الوجود في عصره ألّف ما يربو عن خمسة وعشرين كتابا في التّفسير وتعلقاته والقراءات، إضافة إلى عشرات الكتب فاقت المائتين في شتى صنوف العلوم، ولعل أشهر مؤلّف لديه جمع فيه عصارة جهده في تدوين علوم القرآن واكتناه أسراره اللّغوية والبلاغية مؤلّفه: **(الإتّقان في علوم القرآن)**، ضمّنه فصلا وقف فيه مع إعجاز القرآن فعرض لآراء القدماء من علماء الإعجاز متكلّمين ومعتزلة بدءاً من الجاحظ إلى معاصريه، وافق بعضهم وخالف بعضهم في الوجوه التي كان بها القرآن معجزا، متسلّحا في ذلك بالحجّة والبرهان.

وقد ورد له قول في القرآن وإعجازه في مقدمة الإتقان، والذي اعتبر خلاصة رأيّه في وجوه الإعجاز إذ يقول: "إنّ كتابنا القرآن لهو مفجّر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كلّ شيء، وأبان فيه كلّ هدى وغيّ، فترى كلّ ذي فنّ منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النّظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه القصص والأخبار، ما يذكّر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدّر قدرها إلاّ من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلاّ علاّم الغيوب"30.

لقد اعتبر السّيوطي البحث في وجوه إعجاز القرآن من الموجبات، فذكر قول الجاحظ في الإعجاز، وأنكر ما ذهب إليه النظّام في القول بالصرفة، معتمدا على إبطال أبي بكر الباقلاّني لمذهب النظّام وأشياعه، فأورد وجه الإعجاز عند أبي بكر، وقال أنّه النّظم والتّأليف والتّرصيف، وأنّ القرآن خارج عن جميع وجوه النّظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم؛ كما عرّج على مذهب الرّازي في الإعجاز، وقال أنّ الوجه فيه، الفصاحة وغرابة الأسلوب والسّلامة من جميع العيوب؛ متّفقا في ذلك مع حازم القرطاجنّي في كتابه **(منهاج البلغاء)**.كما ذكر آراء كلّ من الزملكاوي والأصبهاني بشيء من التفصيل، والسّكاكي والتوحيدي، وما ذهب إليه الزّركشي في **(البرهان في علوم القرآن)** والوجوه الأربعة الّتي أصبغها على القرآن من الرّوعة الّتي تشقّ قلب السّامع، ومنها غضاضته وطراوته على ألسنة النّاس، ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة...

ولم يغفل السّيوطي عن ذكر وجوه الإعجاز الأربعة عند القاضي عياض، متمثّلة في حسن التأليف والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته الخارقة، يضاف إلى ذلك صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب، ثم ما انطوى عليه من أخبار الغيب، وما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدّائرة .

ومن خلال عرض السّيوطي لمختلف آراء العلماء حول الإعجاز القرآني ومواطن ذلك، نستطيع القول أنّ الرّجل قد أقرّ بتلك الوجوه الّتي وقف عندها أغلب العلماء الّذين سبقوه، والّتي عنده نحصرها في النقاط التالية:

*/ القرآن الكريم معجز بلفظه الفصيح وأسلوبه البليغ المخالف لأساليب البشر.

*/القرآن الكريم معجز بنظمه البديع المؤسّس على حسن تلاؤم وانسجام كلمة وجمله.

*/القرآن الكريم معجز بما يحدثه في السّامع أو القارئ من تأثير عجيب يهتزّ له الوجدان وتطمئنّ له النّفس وترتاح له الأذن .

يضاف إلى تلك الوجوه، وجه آخر ذكره الإمام السّيوطي، وكان قبله قد أشار إليه كلّ من الإمام الجرجاني والإمام الرّازي، وكان محور الدّراسات الأسلوبية الحديثة، وصُنّف كنظرية في اللّسانيات النّصية الحديثة، هذا الوجه هو التماسك بين آيات وسور القرآن، وحديثا تدعى: **نظرية التماسك النصّي**؛ أراد من خلاله السيوطي البحث في تجاور الآيات والسّور وتعليل ذلك التجاور وبيان وجه حكمته وارتباطه، كلّ ذلك بالرّغم من اختلاف مقاصد آي وسور القرآن، ونزوله منجّما على مدار ثلاث وعشرين سنة.

وعلى هذا الأساس وقف الإمام جهده في الإبانة عن هذا الوجه الإعجازي وصنّف لأجل ذلك كتابا سمّاه: **(تناسق الدّرر في تناسب السّور)**. يصرّح السّيوطي في بداية دراسته للتماسك بين الآيات والسّور، أنّ التماسك علم شريف، وقد قلّ اعتناء المفسّرين به وذلك لدقته وصعوبته، وأنّ الخوض في هذا العلم من شأنه أن يكشف على جانب مهمّ من إعجاز القرآن، وأنّ أكثر اللّطائف القرآنية مودعة في ذلك التماسك والترابط المبني على ترتيب غاية في البراعة الّتي لا تكون إلاّ من لدن عليم خبير.

إنّ ما فعله السّيوطي، ولو لم يبلغ الّذي بلغه الأوائل، فحسبه، أنّه طرق باب البحث في إعجاز القرآن، في فترة بدأ هذا النّوع من البحوث والدراسات يأفل ويولّي. ورغم جهوده الجبارة في ذلك إلاّ أنّ ما انتهى إليه اعتبره بعضهم نقلا على أن يكون بحثا وتأسيسا.

الإعجاز في دراسات المحدثين :

لقد كانت جهود القدماء – ممّن حضينا بذكرهم أو ممّن لم نخض بذكرهم – جدّ مضنية في سبيل تجلية نواحي الإعجاز في القرآن الكريم على مدار سبعة قرون؛ فأفردوا لها مصنّفات عظيمة منها ما وصلنا ومنها الّذي لم يصلنا، على أنّ الّذي مكّنا منه كان إرثًا عظيمًا وزادًا جليلاً، لم ينل حقّه من الدّرس والتّحصيل، فهو عبارة عن ودائع من الحقائق المعرفية لم تستخرج ولم يكشف عنها بعد.

وبعد ركود الدّراسات الإعجازية مع مطلع القرن العاشر الهجري لمدّة قاربت الثلاثة قرون؛ جاء القرن الرّابع عشر، فسطعت في سماء القرآن نجوم أخذت على عاتقها مهمّة البحث في القرآن الكريم، لاستنطاق آياته وسوره، واستكناه درره وأسراره، والكشف عن مواطن إعجاز أخرى أغفلها الأوّلون؛ فكان بحث هؤلاء مبني على جهود القدماء والإرث العظيم الّذي خلّفوه، سلاحهم في ذلك حقيقة جاءت على لسان خير البريّة عليه الصّلاة والسّلام، مفادها أنّ

كتاب الله الجليل لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ. ثمّ أنّ هذا الكتاب يحمل آلاف المعجزات لا تذهب بذهاب الأيام، ولا تمت بموت الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسلام.

وإذا كان بحثنا في دراسات الإعجاز عند القدماء انتقائيا، مقتصرا على البعض منهم حسب ما يقتضيه المقام، دون الإنقاص من أمر الّذين لم نذكرهم شيئا؛ فكذلك الأمر مع المحدثين، فعلى كثرتهم سنقتصر الحديث على عالمين جليلين، كانا بمثابة الواجهة لغيرهم ممّن قهروا أنفسهم لخدمة القرآن، ونخص بالذكر الأستاذ الأديب مصطفى صادق الرّافعي، الّذي أفرد لبيان إعجاز القرآن كتابا شهد من الذّيوع والانتشار ما جعل طبعاته تتعدّد عشرات المرّات؛ أمّا الثاني فالأستاذ الإمام سيد قطب الّذي سطع نجمه بفضل تفسيره العظيم **(في ظلال القرآن)** وكتابه القيّم في أدبية النّص القرآني المعنون: **(التصوير الفنّي في القرآن)** .

1- الرّافعي (ت1937): كان حديث الرّافعي عن إعجاز القرآن متميّزا بفضل حسّه المرهف ونفاذ بصيرته، وفكره الثّاقب، تجلّى ذلك بالخصوص في كتابه **(إعجاز القرآن والبلاغة النّبوي)**، أفرد فيه فصلا للإعجاز خصّصه لآراء القدماء في الإعجاز، وما وضعوه من رسائل وتصانيف وكتب، ونقدها نقد الأديب العالم المتحمّس لدينه وقرآنه، ثمّ أدلى بدلوه في هذا الباب بما تأسّس له وتيسّر من الحجج والبراهين من القرآن؛ يقول بعد أن عرّف الإعجاز والمعجزة: "ونحن الآن قائلون فيما هو الإعجاز عند علمائنا – رحمهم الله – وما وضعوه فيه من الكتب، ثمّ ما هي حقيقته عندنا، ثمّ نبسط الكلام فضلا من البسط في إعجاز القرآن بأسلوبه وبيانه، ممّا يماس اللّغة ويستطرق إليه، نستتمّ بذلك القول فيما انتهى إليه جهدنا من قليل ما استطقّ لنا من أسراره العجيبة، وإنّ لقليلها لكثير على الإنسان بالغة ما بلغت قوّته "31.

وفي حديثه عن إعجاز القرآن، يعترف الرّافعي، بصعوبة المهمّة، وأنّ الدّرس القرآني بحر لا ساحل له، لا يصل إليه بحث الأدباء ولا تنقيب العلماء إلاّ نزرا يقول: "ولسنا ندّعي أنّنا أشرفنا على الأمد وأوفينا على معجزة الأبد، فإنّ هذا أمر ضيّق كثير الالتواء لمن تلمّس جوانبه، واقتحم مصاعبه، وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه، وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الّذي اكتنفه العلماء من كلّ جهة ... ثمّ بعد لا يزال عندهم على ذلك خلقا جديدا، ومراما بعيدا، وصعبا شديدا"32.

لقد اتّبع الرّافعي للكشف عن مواطن الإعجاز في القرآن منهجا دقيقا كشف عنه في مقدّمته بقوله :"بيد أنّه لا بدّ لنا من صدر نبتدىء به القول في تاريخه وجمعه وتدوينه وقراءاته، حتّى تكون هذه سببا إلى الكلام في لغته وبلاغته، ثمّ إعجازه في اللّغة والبلاغة، لأنّ بعض ذلك يريد بعضه"33. فهو يجعل من أقوال القدماء في الإعجاز بالخصوص مطية للوصول إلى وجوه الإعجاز، بالإضافة إلى ما أوتي من ذكاء متوقّد، وذوق فنّي متوهّج، وحرص على خدمة القرآن ولغته.

ولمّا توفّر كلّ ذلك للرّافعي استطاع أن يكشف عن إعجاز القرآن بنظمه البديع في وجوه تركيبه ونسق حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، وتلخّص لديه أنّ: "هذا الأسلوب إنّما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كلّه، ليس من ذلك شيء إلاّ وهو معجز...ورد على (العرب) من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته، ما أذهلهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة، وروعة مخوّفة، وخوف تقشعرّ منه الجلود"34.

يتضّح ممّا ذهب إليه في هذا القول أنّ مناط الإعجاز عنده هو **النّظم**؛ ويؤيّد هذا الحكم الكثير من النّقاد المحدثين، وعلى رأس هؤلاء الدّكتور صلاح الدّين عبد التوّاب بقوله: "فالنّظم ليس غير، هو مناط الإعجاز الّذي اعتدّ به الرّافعي، لأنّه آية الجمال والجلال في هذا القرآن الكريم، ولذلك تناول موضوع النّظم بالشّرح والتّحليل، وجعله الفكرة الأساسية الّتي دار حولها في كتابه إعجاز القرآن "35.

وهذا القول أيّده أيضا الدّكتور عبد الكريم الخطيب بقوله: "وحين ننظر في الميزان الّذي يزن به الرّافعي أسلوب القرآن ونظمه الّذي به كان الإعجاز، نراه لا يخرج كثيرا عن مقولات من سبقوه

ممّن يقولون بالإعجاز من هذه الجهة، فهو يرى أنّ استقرار الحرف في الكلمة، وتوازن الكلمة مع الكلمة في الجملة، وتجاوب الجملة مع الجملة، ...كلّ هذا من شأنه أن يقيم أسلوبا فريدا في النّظم...تتوهمه العرب ولا تحققه، وتتظنّاه ولا تقع على ظلّه "36.

ولمّا كانت فكرة النّظم هي وجه الإعجاز الأوّل عند الرّافعي، فإنّ دراسته لها كانت مبنية على ثلاثة عناصر أساسية مباينة لمن سبقوه ممّن نادوا بفكرة النّظم في القرآن وهي :

- الحروف وأصواتها.
- الكلمات وحروفها.
- الجمل وكلماتها.

هذا التّصنيف بلا ريب ينمّ عن وعي الرّافعي الدّقيق، وذوقه الفنّي الرّقيق، وفهمه الذكّي اللّطيف لنظم القرآن؛ فالعنصر الأوّل إشارة منه إلى الإيقاع الصوتي للآيات المحكمات الناتج عن دقّة الالتئام، والتناسق بين الحروف في كلماتها باعتبار أصواتها ومخارجها، وهمسها وجهرها، وشدّتها ورخاوتها، وهو ما يحقّق النّظم الموسيقي في القرآن بإعجازه السّاحر يقول الرّافعي في هذا: "وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النّظم الموسيقي في القرآن، وأنّه ممّا لا يتعلّق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الّذي هو فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدّة والرّخاوة ، والتفخيم والترقيق، والتفشّي والتكرير..."37.

وأمّا الثاني فيؤكّد على صلة الحروف ببعضها البعض في الكلمة الواحدة بما يحقق الإيقاع الصوتي للحروف مع الدّلالة المؤثرة، أي المعنى المراد، وهنا يشير إلى الصلة الوطيدة بين المعنى ولفظه، وكيف أنّ المعنى الواحد يعبّر عنه بألفاظ عدّة، لا يجزئ الواحد منها عن الآخر، وهو شرط الفصاحة. يقول: "لا جرم أنّ المعنى الواحد يعبّر عنه بألفاظ لا يجري واحد منها في موضعه عن الآخر إن أريد شرط الفصاحة"38. وهذا الأمر لا يتعارض أبدا مع قواعد اللّغة الصرفية واللّغوية، ومن ثَمَّ فألفاظ القرآن تنتظم انتظاما يأتلف مع أصوات الحروف بما يحقّق النّغم الموسيقي؛ وهو ما أشار إليه الرّافعي بقوله: "ولو تدبّرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللّغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها، فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيّئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلاّ مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النّظم الموسيقي "39.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا الباب، أنّ الرّافعي قد أقرّ مسألة من الأهمية بما كان، تتمثّل في علاقة الصوت بالانفعال النّفسي، وجعل هذا الأخير سببا في تنويع الصوت الّذي هو البلاغة في لغة الموسيقى يقول: "وليس يخفى أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته، إنّما هو سبب في تنويع الصوت... بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز، وبعد المدى ونحوها، ممّا هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى"40.

وأمّا الثالث، فالجملة عند الرّافعي مظهر الكلام، الّذي هو عنده على قسمين: طبيعي لا يزيد من فضيلة المتكلّم شيئا، وغير طبيعي ترى فيه النّفس الأشياء وتحسّها وتصوّرها وهو الصورة النّفسية للتأليف الطبيعي، فالمعاني تُتَصوّر في النّفس وتوصف باللّغة فنجده يوضّح هذه المسألة بقوله: "فإذا رُكّب الكلام على أصل من التركيب لا يتأدّى بالمعاني إلى أبعد من مظاهر الحسّ، فهذا الكلام الّذي لا يزيد من فضيلة المتكلّم أكثر ممّا تزيد الحواس نفسها في هذا المتكلّم من فضيلة الإنسانية ... أمّا إذا خرج الكلام إلى أن يكون في أوضاعه ومعانيه كأنّه تصرّف من الحواس في أنواع الإدراك ودرجاته، كتصرّف النّظر في اكتناه الجمال وإدراك معانيه، أو السّمع في استبانة الأصوات وحسّ نغماتها، إلى ما يشبه ذلك من صنع سائر الحواس في كمالها العصبي، فهذا هو الكلام النفسي الّذي يضيف إلى صفة المتكلّم صفة البلاغة، ويرتفع به عن أن يكون إنسانا من الجنس إلى أن يكون بفضيلة البلاغة مادّة إنسانية لجنس الإنسان"41.

وبهذا تتلخص فكرة النّظم – كوجه من وجوه الإعجاز القرآني عند الرّافعي – في الموسيقى اللّغوية المبنية على الحرف وصوته، والكلمة وحروفها، والجملة وألفاظها في صورة انسجامها واطّراد نسقها واتّزانها على أجزاء النّفس مقطعا مقطعا، ونبرة نبرة.

ويضاف إلى هذا الوجه وجوه أخرى رأى الرّافعي في **(إعجاز القرآن)** أنّها من دلائل عظمة هذا الكتاب وإعجازه وخلوده، وهي: تاريخ القرآن وأثره الإنساني وحقائقه بمختلف أنواعها بدليل قوله: "فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه... وهذه الوجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء، فهي باقية ما بقيت"42.

ولا نبرح الرّافعي في الأخير دون أن نشير إلى إنكاره لمذهب الصّرفة، وما ذهب إليه النّظّام؛ متّفقا في ذلك مع جمهور علماء الإعجاز قديما وحديثا.

2- سيد قطب(ت 1967): يعدّ سيد قطب – بحق- واحدا من الّذين أبلوا البلاء الحسن في تسخير كامل جهدهم لخدمة القرآن الكريم، تفسيرا ودراسة؛ فقد فسّر القرآن الكريم تفسيرا مباينا لتفاسير القدماء، كان اهتمامه فيه منصبا على تلمّس الجمال الفنّي والظلال الكامنة وراءه، فألّف لذلك كتابا سمّاه:**(في ظلال القرآن)**؛ يضاف إلى ذلك كتابان آخران كان لهما جميل الصدى عند الدّارسين والنّقاد وأهل العلم؛ عمل فيهما على إبراز الجوانب الفنية والصور الجمالية للقرآن، وذلك بالتعرّض لمشاهد متعددة ومختلفة من الكتاب الحكيم، الكتاب الأوّل بعنوان:**(مشاهد القيامة في القرآن)** والثّاني:**(التصوير الفنّي في القرآن)**؛ ولعلّ الأخير كان فيه صريحا في إبراز الوجه الإعجازي في القرآن .

إنّ أبرز وجه كان محور دراسة وبحث وتمحيص من لدن سيد قطب، التّصوير الفنّي المبني على بلاغة أسلوب القرآن، وروعة التّصوير وسحر النّسق، وإيقاع الموسيقى هذا الوجه في نظر سيد أغفله كثير من علماء الإعجاز قديما يقول: "وبذلك بقي أهمّ مزايا القرآن مغفلا خافيا، وأصبح من الضروري لدراسة هذا الكتاب المعجز من منهج للدّراسة جديد، ومن بحث عن الأصول العامة للجمال الفنّي فيه، ومن بيان للسّمات المطّردة الّتي تميّز هذا الجمال عن سائر ما عرفته اللّغة العربية من أدب، وتفسّر الإعجاز الفنّي تفسيرا يستمد من تلك السّمات المتفرّدة في القرآن "43.

ونحن لا نجزم أنّ علماء الإعجاز لم يقولوا بإعجاز القرآن الفنّي، فالزمخشري أشار إليه وكان يستدلّ بآي القرآن عليه، بل إنّ سيد قطب نفسه يشهد على ذلك: "رجل–متأخر نوعا ما-كان يقع
له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعض مواضع الجمال الفنّي في القرآن- وهو الزّمخشري- وذلك كقوله في تفسير "ولمّا سكت عن موسى الغضب" كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: "قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك"، وهو توفيق محمود ينقصه التبلور والوضوح"44.

لقد بدا جليّا للرّجل أنّ التّصوير هو القاعدة الأساسية في أسلوب القرآن، وبه كان ولا يزال معجزا، معتبرا أنّه الأداة المفضلة والوسيلة المعتمدة لترجمة المعنوي المتخيّل إلى محسوس مجرّد، وهو الأمر الّذي ورد على لسانه: "التّصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهني والحالة النّفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النّموذج الإنساني والطبيعة البشرية؛ ثمّ يرتقي بالصورة الّتي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النّفسية لوحة أو مشهد، وإذا النّموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية"45.

توسّع سيد في دراسة وتوضيح معنى التصوير كوجه إعجازي بارز، وهو سرّ من أسرار الإعجاز القرآني، مبيّنا أنّه كلون من ألوان جمال الأسلوب الفنّي في القرآن يجب أن تتضافر مجموعة من العناصر لبلورته ورسمه، بدءا باللّون والحركة والتّخييل والوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات، وموسيقى السّياق يقول في هذا المقام: "يجب أن نتوسّع في معنى التصوير، حتّى ندرك آفاق التّصوير الفنّي في القرآن، فهو تصوير باللّون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتّخييل، كما أنّه تصوير بالنّغمة تقوم مقام اللّون في التّمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السّياق في إبراز صورة من الصور، تتملاّها العين والأذن، والحسّ والخيال، والفكر والجدان"46.

ويكشف سيد قطب الحجاب عن هاته العناصر بأمثلة ونماذج من القرآن الكريم في كتابه (**التصوير الفنّي في القرآن**)، وكيف أنّ التّعبير القرآني يصوّر المعاني الذهنية والحالات النّفسية والمعنوية في صور حسّية؛ ومن ذلك مشهد قصة سيّدنا إبراهيم وهو يبني الكعبة بمعية ابنه إسماعيل.

والتّصوير الفنّي وجماله لا يتحققان إلاّ بروعة النّسق القرآني وجمال آدائه، وهو عند سيد قطب يتّكئ على أربعة عناصر:47

الأوّل:التّنسيق في تأليف العبارات، بتخيّر الألفاظ، ثمّ نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها.
الثاني: الإيقاع الموسيقي النّاشئ من تخيّر الألفاظ في نسق خاص.
الثالث: التّسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتّناسب في الانتقال من غرض إلى غرض
الرابع: التّناسق النّفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص، والخطوات النّفسية الّتي تصاحبها.

وإذا ما تأمّلنا هذه العناصر الّتي ذهب إليها سيد، نجد أنّ بعضها سبق وأن أشار إليها العديد من دارسي الإعجاز القرآني، كالإيقاع الموسيقي مثلا. إنّما الجديد عنده هو إشارته لهذا الوجه الإعجازي العجيب متمثلا في التصوير الفنّي، وهو وجه لم يعط الأهمية المنوطة به.

ومهما يكن من أمر، فإنّ ما أشار إليه الرّجل يعتبر بحقّ لبنة مشعة لن ينطفئ شعاعها،ما دام مرجعها ومصدر قوّتها القرآن الكريم، وسيقف - وبلا ريب- كلّ دارس للقرآن على هذه الخاصية الفنيّة، الّتي انفرد بها القرآن، بل ويقف على حقيقة مفادها أنّ هذا الكتاب المعجز لا تنتهي وجوه إعجازه، مهما تعدّدت البحوث والدّراسات وألّفت التّصانيف والكتب.

وممّا تقدّم من قديم وحديث ممّن تكلّم في إعجاز القرآن ووقف على وجوه ذلك، نستطيع القول أنّ الإعجاز القرآني متعدّد النّواحي متشعّب الاتجاهات؛ذ، لا يزال الباحثون والدّارسون في شتّى أصناف العلوم يكتشفون مظاهر ووجوه إعجازه، الشيء الّذي لا يمكن أن يقوم به شخص واحد أو جماعة في فترة زمنية محدّدة، على أنّ حديثنا عن تاريخ الدّراسات الإعجازية، رسّخ في أذهاننا حقيقة اختلا ف **الرّسمة** بين العلماء في الوجه أو الوجوه الّتي كان بها القرآن معجزا، وذلك ممّا يجعل هذا
الكتاب الخالد حقلا خصبا للبحث والدّراسة، وهذا لا ينفي اتّفاقهم على جملة من الوجوه، اعتبرت بحقّ معالم كبرى انفرد بها القرآن وأصبحت مناط إعجازه، والّتي يمكن أن نجملها في العناصر التالية:

1- القرآن معجز ببلاغته الخارقة للعادة، والّتي تتأسّس على خمسة عناصر: فصاحة اللّفظ وسلاسته واستقامته - شرف المعنى والمقصد وصدقه ومشاكلته للّفظ وشدّة اقتضائها للقافية حتّى لا منافرة بينهما - جزالة النّظم وحسن متانته - بداعة أسلوبه وغرابته وجودته - روعة البيان وبراعته وصفوته واستقامته.

2-القرآن معجز بأخباره الغيبية. وهي إمّا غيبية ماضية، وإمّا غيبية حاضرة، وامّا غيبية مستقبلية.

3-القرآن معجز بعلومه ومعارفه نظرياته. وهو ما اتّفق على تسميته بالإعجاز العلمي .

4-القرآن معجز بجلال أثره على القلوب، وصنيعه بالنّفوس.

5-القرآن معجز بإيقاعه الموسيقي في حسن تجاور أصواته وكلماته وجمله.

6-القرآن معجز بطريقة وحسن تصويره في التعبير، وهو الوجه الّذي أشار إليه سيد قطب، ويمكن أن نصنّفه ضمن بلاغة القرآن المعجزة، وأسلوبه البارع.

وبعد هذا فإنّ الوجه الأكبر في إعجاز القرآن، "هو أن يبقى مشغلة الدّارسين جيلا بعد جيل، ثمّ أبدا رحب المدى سخيّ المورد، كلّما حسب جيل أنّه بلغ منه الغاية امتدّ الأفق بعيدا وراء كلّ مطمح عاليا يفوق طاقة الدّارسين"48، وليبقى الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز أو الخوض في سرّ من أسرار القرآن مطلبا عزيزا ومراما بعيدا، انصرفت إليه أنظار وهمم الباحثين المسلمين وغير المسلمين قديما وحديثا؛ بل إنّ الأمر تطوّر كثيرا بظهور المناهج الأدبية والنّقدية الحديثة، فأفادت في تحليل ودراسة السّور القرآنية وتفسيرها، حتّى يوضع لإعجاز القرآن أساس عقلي بعيدا عن البرهان الظاهري.

ولعلّ من أبرز تلك المناهج الّتي استفيد منها المنهج الأسلوبي، والّذي كان تطبيقه على بعض مدوّنات القرآن ذا أثر طيّب، ونتائج أثرت الدّراسات اللّغوية والأسلوبية الحديثة. وهو الأمر الّذي دفعنا إلى اختياره وتطبيقه على مدوّنة قرآنية جمع الله فيها من أسباب الإعجاز ما يجعلها أنموذجا لسموّ بلاغة القرآن وأسلوبه، وما ذلك إلاّ خطوة قصيرة في طريق معرفة واستكناه كلام الله وعظمته "قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدَا" **(الكهف109)**.

*-قائمة الإحالات:

1- ابن قتيبة أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن- شرحه ونشره السيّد أحمد صقر-**، ط2، دار التراث بالقاهرة، القاهرة، 1973، ص22.

2- المصدر نفسه، ص22.

3- رزق صلاح، **أدبية النص**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002،ص14.

4- الخطيب عبد الكريم، **الإعجاز في دراسات السابقين**، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1975، ص140.
5- الجاحظ عمرو بن عثمان، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون،ج3، دار الجيل، بيروت، ص27.
6- الرافعي مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط8، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص165.
7- الخطيب عبد الكريم،**الإعجاز في دراسات السابقين**، ص 16
8- الجاحظ عمرو بن عثمان، الحيوان،ج3، د/ط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة، د/ت، ص 31.
9- الجرجاني عبد القادر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**،علّق عليه: مُحَمَّد رشيدرضا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2001، ص197.
10- الجابري مُحَمَّد عابد، **بنية العقل العربي**، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص76.
11- الخطيب عبد الكريم، المرجع السابق، ص173.
12- الباقلاني أبو بكر، **إعجاز القرآن**، د/ط، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، 2005،ص610 -611 .
13- الباقلّاني، المصدر السابق، ص611 وما بعدها.
*- يقصد الوجوه والطرق الّتي يتقيّد بها الكلام البديع المنظوم كالموزون غير المقفّى، والمعدّل المسجّع، والمعدّل الموزون غير المسجّع والمرسل...
14- الباقلّاني، المصدر السابق،ص611
15- الخطيب عبد الكريم، **الإعجاز في دراسات السّابقين**، 194.
16- عبد التّواب محمّد صلاح الدّين، **النقد الأدبي- دراسات نقدية حول إعجاز القرآن**، ص 137/136.
17- صلاح رزق، **أدبية النّص**،ص36.
*- القروم: الفحول، وهي حقيقة في الإبل، مجاز في الإنسان.
18- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص44.
19 - الجرجاني، المصدر السابق،ص64
20- المصدر نفسه،صص31/30
21- المصدر نفسه،ص246
22- انظر: الجرجاني، المصدر السلبق، ص.308
23- انظر: المصدر نفسه، ص31/30.
24- الخطيب عبد الكريم، **الإعجاز في دراسات السّابقين**، ص299.
25- الزمخشري جار الله، **تفسير الكشاف**، تحقيق وتعليق مُحَمَّد مرسي عامر، ج1، ط2، دار المصحف، القاهرة، 1977، ص08.
26- ساسي عمّار، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، ج1، ط1، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، الجزائر، 2003، ص36.
27- الزمخشري، المصدر السّابق، ج2، ص242.
28- المصدرنفسه، ص158.
29- السّيوطي جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، د/ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص03.
30- الرّافعي مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية**، ص107.
31- الرّافعي، المرجع السابق،ص 108/107.
32- المرجع نفسه، ص12.
33- المرجع نفسه، ص 143.
34- عبد التّواب محمّد صلاح الدّين، المرجع السابق، ص42.
35- الخطيب عبد الكريم، المرجع السابق، ص339/338
36- الرّافعي ، المرجع السابق، ص161/160
37- المرجع نفسه، ص162.
38- الرّافعي، المرجع السابق، ص 169.
39- المرجع نفسه، ص 161.
40- المرجع نفسه، ص 176.
41- الرّافعي، المرجع السابق، ص 175.
42- قطب سيد، **التصوير الفني في القرآن**، د/ط، دار الشروق، بيروت، 1966، ص 30.
43- قطب سيد، المرجع السابق، ص24.
44- المرجع نفسه، ص 32.
45- المرجع نفسه، ص33.
46- قطب سيد ، المرجع السابق، ص 73/72

47- عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص13

** قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن قتيبة أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن- شرحه ونشره السيّد أحمد صقر-**، ط2، دار التراث بالقاهرة، القاهرة، 1973.
2- الباقلّاني أبو بكر، **إعجاز القرآن**، د/ط، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، 2005.
3- الجاحظ عمرو بن عثمان، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون،ج3، دار الجيل، بيروت.
4- الجاحظ عمرو بن عثمان، الحيوان،ج3، د/ط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة، د/ت.
5- الخطيب عبد الكريم، **الإعجاز في دراسات السابقين**، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
6- الجرجاني عبد القادر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**،علّق عليه: مُحَمَّد رشيدرضا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2001،
7- رزق صلاح، **أدبية النص**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
8- الرافعي مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط8، دار الكتاب العربي، بيروت.
9- الجابري مُحَمَّد عابد، **بنية العقل العربي**، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
10- الزمخشري جار الله، **تفسير الكّشاف**، تحقيق وتعليق مُحَمَّد مرسي عامر، ج1، ط2، دار المصحف، القاهرة، 1977،
11- ساسي عمّار، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، ج1، ط1، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، الجزائر، 2003.
12- السّيوطي جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، د/ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2005
13- قطب سيد، **التصوير الفني في القرآن**، د/ط، دار الشروق، بيروت، 1966
14- عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، القاهرة، 1971